القراءات التفسيرية

نشأتها، ضابطها، حكمها، الفرق بينها وبين الشاذة

تأليف

خادم القراءات وتحريراتها

أ.د. سامي محمد سعيد عبد الشكور

الأستاذ بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

"تمهيد":

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون[1]. العالم بما كان، وما هو كائن، وما سيكون القائل في كتابه المكنون: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2] ﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[3] ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[4] ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾[5]. أرسل الرسل مبشرين لمن أطاعهم بكل ما تحبه النفوس ومنذرين لمن عصاهم باللعن والإبعاد، وأن يعذبوا عذاباً أليماً، وأمرهم بدعاء الخلق إلى عبادته وحده لا شريك له، مخلصين له الدين ولو كره المشركون.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾[6].

وختمهم بمحمد ﷺ أفضل الأولين والآخرين، وصفوة رب العالمين، الشاهد، البشير، النذير، الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور، وهداهم إلى صراط العزيز الحميد، وأنزل عليه أفضل الكتب، وجعله مهيمناً على ما بين يديه من كتب السماء. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب العالمين وإله المرسلين، ومالك يوم الدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله إلى الناس أجمعين، فلم يزل ﷺ يجتهد في تبليغ الدين وهدي العالمين... حتى طلعت شمس الإيمان، وأدبر ليل البهتان، وعز جند الرحمن، وذل حزب الشيطان، وظهر نور

---

(١) سورة الأنعام الآية: ١.

(٢) سورة يس آية: ٨٢.

(٣) سورة القصص آية: ٦٨.

(٤) سورة القصص آية: ٧٠.

(٥) سورة النساء: الآية: ١٦٥.

(٦) سورة المؤمنون آية: ٥١- ٥٢.

الفرقان، واشتهرت تلاوة القرآن، وأعلن بدعوة الآذان، واستنار بنور الله أهل بالوادي والبلدان وقامت حجة الله على الإنس والجان.

نشأة ما يسمى بالقراءات التفسيرية:

(أ) تلقي الرسول ﷺ القرآن:

لم يكن النبي ﷺ بدعاً[١] من الرسل، ولم يكن أول نبيٍ خاطب الناس باسم الوحيَّ، وحدثهم بحديث السماء.

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾[٢] فمن لدن نوح عليه الصلاة والسلام تتابع الرسل تتراً ينطقون عن الله، ولا ينطقون عن الهوى، ولم يكن الوحي الذي أيدهم به الله مخالفاً الوحي الذي أيد به محمداً ﷺ، بل كان الوحي مصدره كله من عند العليم الخبير. قال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ﴾[٣].

فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلوا بغار حراء فيتحنث[٤] فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع[٥] إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: أقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني[٦] حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: أقرأ: قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني

---

(١) أي أولهم.

(٢) سورة النساء (آية ١٦٣)

(٣) سورة يونس (آية ٢)

(٤) وهو التعبد.

(٥) أي: يرجع انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤١/٥).

(٦) أي ضمني وعصرني. المصدر السابق (٣٧٢/٣).

الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: أقرأ: قلت ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة ثم قال أرسلني فقال: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ، ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾- فرجع بها رسول الله ﷺ- يرجف فؤاده[1]. هذا ما كان من بدء الوحي على رسول الله ﷺ، لقد تلقى النبي الكريم القرآن بقلبه حتى توفي عليه الصلاة والسلام-﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾﴿ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴾﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾- واعياً كل الوعي أنه عبد الله ورسوله الأمين[2] وكان ﷺ شديد الحرص على تلقي هذا الوحي من لدن حكيم خبير؛ لذا كان يفرق بوضوح بين الوحي الذي ينزل عليه وبين أحاديثه الخاصة التي كان يعبر عنها بإلهام من الله. فمن حرصه، وحبه له أنه كان يتعجل في تلقي القرآن فإذا نزل شيء يحرك به لسانه يريد أن يحفظه، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴾﴿ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴾ . وقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴾فقال. كان رسول الله يعالج من التنزيل، وكان مما يحرك شفتيه، فقال ابن عباس فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما.

(ب) الأمر بكتابة القرآن واتخاذه ﷺ كتاباً لذلك:

إن من نافلة القول هنا أن نشير إلى عدم معرفة النبي ﷺ للكتابة فضلاً عن ممارستها، ومهما كان معنى الأمي فإنه ﷺ ما قرأ ولا كتب قط، ومع أن طريقة التلقي المثلى بين الصحابة كانت المشافهة، والحفظ، ومع أن الكتابة في حواضر الحجاز لم تكن واسعة الانتشار، ومع أن وسائلها بدائية وغير ميسورة؛ فإن النبي ﷺ كان حريصاً على تسجيل ما ينزل عليه من القرآن.

قال الحارث المحاسبي في كتابه (فهم القرآن): فيما رواه عنه السيوطي في الإتقان: "كتابة القرآن ليست بمحدثة فإنه ﷺ كان يأمر بالكتابة، ولكنه كان مفرقاً في الرقاع، والأكتاف، والعسيب. ومع أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب قال تعالى: ﴿ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ

---

(١) صحيح البخاري (٢٣١) كتاب بدء الوحي، باب (٦)

(٢) انظر دراسات حول القرآن للدكتور بدران ص ٢٦- ٢٧ وصبحي الصالح في مباحث في علوم القرآن ص ٢٢.

ٱلْأُمِّيَّ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[2] إلا أنه تلقى كتاب ربه بعناية فائقة، ودقة متناهية، حريصاً على هذا النور الإلهي، فكان بعد نزول الوحي إليه وحفظه ﷺ الآية أو السورة يبلغها للناس، والفائزين بشرف الصحبة رضوان الله عليهم ويستحفظهم إياه بل ويراجعهم في ما يحفظون، فقد روى عن زيد بن ثابت أنه قال "كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ وهو يملي فإذا فرغت قال: إقرأه فأقرأه، فإذا كان فيه سقط أقامه"[3]

حتى أصبح الواحد منهم لا تملكه نفسه عند سماع الخطأ في كتاب الله فيُهرعون إلى النبي ﷺ للفصل في ذلك فهذا الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة النبي ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروفٍ كثيرة لم يقرئنيها رسول الله، فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلّم، فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله. فقلت: كذبت، فإن رسول الله قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله.[4]

لقد كانت الهمم منصرفة أول الأمر إلى جمع القرآن في القلوب بحفظه واستظهاره إلا أن هذا الحفظ، والاستظهار لم يصرفهم عن العناية بكتابة ونقشه.

فهذا رسول الله ﷺ يأمر بكتابة القرآن فور نزول الآية عليه والسورة فيأمر بعض أصحابه بكتابتها مبالغةً في تسجيله وتقيده، وزيادة في التوثق، والضبط، والاحتياط في كتاب الله تعالى حتى تُظاهر الكتابة الحفظ ويعاضد النقش اللفظ. لذلك تخير رسول الله ﷺ مجموعة من الصحابة لكتابة القرآن وكان يطلق على هذه المجموعة "كتاب الوحي" فكان إذا نزل جبريل بشيء من القرآن أمرهم

---

(١) سورة الأعراف آية (١٥٧).

(٢) سورة العنكبوت آية (٤٨).

(٣) ذكره البيهقي في شعبه (٣٧/٧).

(٤) صحيح البخاري، باب (أنزل القرآن على سبعة أحرف) (٢٣/٩).

النبي بتسجيل ذلك، فيسارعون بتنفيذ أمر رسول الله فيسجلونه على العسب، واللخاف والرقاع، وغيرها من أدوات الكتابة المستعلمة في ذلك العصر. فالقرآن إذاً قد كتب بين يدي النبي ﷺ.

وللزيادة في التأكيد كان جبريل عليه وعلى نبينا السلام يعارض النبي ﷺ بالقرآن في كل سنة مرة وفي العام الذي قبض فيه عارضة بالقرآن مرتين. وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم يقرأون ما يحفظون على النبي وكذلك النبي ﷺ يقرأ عليهم حتى يأخذوا منه النطق الصحيح. كما حصل لأبي بن كعب عندما قال له النبي ﷺ: " إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن".[(١)]

وهذا ابن مسعود يطلب منه النبي أن يقرأ عليه. فقال: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: فإني أحب أن أسمعه من غيري"[(٢)][(٣)].

وفي كتب السنة الكثير من الأحاديث التي تطالعنا رسول الله ﷺ وهو يأمر بكتابة القرآن وكذلك اتخاذه ﷺ كتاباً لذلك وإليك بعض هذه الآثار:

(١) ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس قال: كنت غلاماً أسعى مع الغلمان فالتفت فإذا أنا بنبي الله ﷺ خلفي مقبلاً، فقلت: ما جاء نبي الله إلا إلي، قال: فسعيت حتى أختبئ وراء باب دار، قال: فلم أشعر حتى تناولني، فأخذ بقفاي فحطأني حطأة، فقال: "اذهب فادع لي معاوية"، قال: وكان كاتبه فسعيت فأتيت معاوية، فقلت: أجِب نبي الله، فإنه على حاجة[(٤)].

(٢) ما أخرجه أبو داود في سننه عن عبد الله بن عمرو قال: "كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، رقم الحديث (٤٩٦٠).، (٧٢٥/٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، رقم الحديث [٤٥٨٢]، [٢٥٠/٨].

(٣) انظر فضائل القرآن لأبي عبيد ص (١٥٢)، ودراسات حول القرآن لأبي العينين ص (٥٨-٦٠)، تاريخ القرآن للزنجاي (٥٢)، والتبيان للدكتور زلط ص (٦٠)، فضائل القرآن لابن كثير ص ٢٧، والبرهان للزركشي (٢٠٢/١).

(٤) مسند الإمام أحمد (٣٤٦/٣)، إسناده صحيح، رقم الحديث ٣١٠٢.

إلى رسول الله ﷺ فأومأ بإصبعه إلي فقال: "اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق"[(١)].

(٣) ما أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن السبّاق قال: " إن زيد ابن ثابت قال: أرسل إلي أبو بكر رضي الله عنه قال: إنك كنت تكتب الوحي لرسول الله..." [(٢)].

(٤) ما أخرجه البخاري في صحيحه عن البراء رضي الله عنه قال: "لما نزلت ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال النبي ﷺ: ادع لي زيداً وليجيء باللوح والدواة والكتف ثم قال: اكتب لا يستوي القاعدون) وخلف ظهر النبي ﷺ عمرو ابن أم مكتوم الأعمى فقال: يا رسول الله فما تأمرني، فإني رجل ضرير البصر، فنزلت مكانها: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [(٣)].

(٥) ما أخرجه أبو عبيد القاسم في كتابه فضائل القرآن عن ابن عباس عن عثمان (رضي الله عنهم) قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزلت عليه سورة، دعا بعض من يكتب، فقال: "ضعوا هذه السورة" في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا[(٤)].

(٦) قصة إسلام عمر عندما قال له رجل من قريش أختك قد صبأت فرجع ولطم أخته ولما سكت عنه الغضب نظر في ناحية البيت. فإذا صحيفة فيها "بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿طه مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [(٥)] فهذه الأحاديث والآثار تدل على أنه ﷺ اهتم بكتابة القرآن واتخذ لذلك كتاباً.

---

(١) سنن أبي داود، باب كتاب العلم، رقم الحديث [٣٦٤٦]، [٢/٥٢٤].

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كاتب النبي ﷺ ، رقم الحديث [٤٩٨٩]، [٩/٢٢].

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كاتب النبي ﷺ، رقم الحديث [٤٩٩٠]، [٩/٢٢].

(٤) باب تأليف القرآن، وجمعه، ومواضع حروفه، وسوره، ص [١٥٢]، قلت: ويبدو أن ذلك كان بعد الإذن بكتابة غير القرآن.

(٥) ذكر هذه القصة الإمام القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١١/١٤٩).

(د) كتاب الوحي:

عقد البخاري في صحيحه. باباً عنوانه "باباً عنوانه" باب كاتب النبي ﷺ "

قال الإمام ابن كثير رحمه الله ولم يذكر البخاري أحداً من الكتاب في هذا الباب سوى زيد بن ثابت، وهذا عجب، وكأنه لم يقع له حديث يورده سوى هذا. قلت (أي ابن كثير) لم أقف في شيء من النسخ إلا بلفظ "كاتب". نعم قد كتب الوحي لرسول الله ﷺ جماعة غير زيد بن ثابت[١][٢].

وقد كتب له قبل زيد بن ثابت أبي بن كعب وهو أول من كتب بالمدينة وأول من كتب بمكة من قريش عبد الله بن أبي سرح ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام يوم الفتح وممن كتب له في الجملة:

أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ١٣هـ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٢٣هـ، عثمان بن عفان رضي الله عنه ٢٥هـ، علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٤٠هـ، معاوية بن أبي سفيان ٦٠هـ، خالد بن الوليد رضي الله عنه ٢١هـ، أبان بن سعيد رضي الله عنه ١٣هـ، ثابت بن قيس رضي الله عنه ١٢هـ، الزبير بن العوام رضي الله عنه، سعيد بن العاص بن أمية، حنظلة بن الربيع الأسدي، عبد الله بن الأرقم الزهري، شرحبيل بن حسنة، عبد الله بن أبي سرح، عبد الله بن رواحة، معيقيب بن أبي فاطمة[٣].

---

(١) صحيح البخاري، باب كاتب النبي ﷺ ٢٢/٩.

(٢) استطاع المستشرق "بلاشير" أن يبلغ بكتبه الوحي إلى أربعين رجلاً، فيما نقله عنه د/ صبحي الصالح في كتابه مباحث في علوم القرآن، ص [٦٩]. قلت: ولعله عدد من لم يشتهر ممن كتب المرة أو المرتين.

(٣) صحيح البخاري، باب كاتب النبي ﷺ (٢٢/٩).

(هـ) نهى الرسول ﷺ عن كتابة غير القرآن:

لقد مر بنا فيما سبق كيف تلقى نبينا ﷺ الوحي، وكيف كان حرصه على ذلك، وتبليغه ذلك إلى أصحابه رضوان الله عليهم، ومعاهدتهم له ﷺ بالقرآن من حين لآخر، ومن ثم أمره لهم بكتابته واتخاذه كتبة لذلك. ولما كان النبي ﷺ معايشاً للصحابة، وبين أظهرهم يحثهم تارة ويوعظهم تارة أخرى كما هو شأن الرسل مع أممهم قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ ﴾ أدرك رسول الله ﷺ بثاقب بصيرته، وعظيم حكمته، ما قد يحصل من خلط بين الوحي النازل وأحاديثه الخاصة التي كان يعبر عنها بإلهام من الله فما يجول في نفسه من خواطر، وأفكار كان ذا صفة إنسانية محضة لا يمكن أن تخلط بالكلام الرباني لذلك نهى رسول الله ﷺ أول العهد بنزول الوحي عن تدوين شيء سوى القرآن حتى يحفظ للقرآن صفته الربانية، ويحول دون اختلاطه بشيء ليس منه. ومع أن أقوال النبي ﷺ كلها تشريع من عند الله ليس فيها من الهوى شيء ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ إلا أنه ﷺ جرّد كتاب الله بنهيه ﷺ من يعرفون الكتابة أن يكتبوا شيئاً غير القرآن مهما كان ذلك شديد الصلة بالآيات حتى الأحاديث القدسية المنزلة من عند الله نحيت، لم يأذن بكتابتها وفصلت عن القرآن حتى لا تختلط به.

وإليك بعض الآثار التي تدل على نهيه ﷺ عن كتابة غير القرآن:

ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: " لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه[1]".

ما أخرجه الدرامي في سننه عن أبي سعيد الخدري: أنهم استأذنوا النبي ﷺ في أن يكتبوا عنه، فلم يأذن لهم[2].

---

(١) صحيح مسلم، باب حكم كتابة العلم، [٣٢٩]، وانظر سنن أبي داود، باب العلم [٣]. والدرامي، المقدمة [٤٢]، ومسند الإمام أحمد [٣/٤١].

(٢) سنن الدرامي، باب من لم يرى كتابة الحديث [٨١].

ما أخرجه أبو داود في سننه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال: ما كنا نكتب غير التشهد والقرآن[1].

(و) إذن النبي ﷺ بكتابة غير القرآن:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: كان الناس على عهد رسول الله ﷺ يكتبون القرآن، وكان النبي ﷺ قد نهاهم أن يكتبوا عنه غير القرآن وقال " من كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه " ثم نسخ ذلك عند جمهور العلماء؛ حيث أذن ﷺ في الكتابة... [2].

وقال الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزيه (رحمه الله): قد صح عن النبي ﷺ النهي عن الكتابة والإذن فيها، الإذن متأخر، فيكون ناسخاً لحديث النهي فإن النبي ﷺ قال في غزة الفتح: "اكتبوا لأبي شاة" يعني خطبته التي سأل أبو شاه كتابتها، والإذن لعبد الله بن عمرو في الكتابة، وحديثه متأخر عن النهي لأنه لم يزل يكتب، ومات وعنده كتابه، وهي الصحيفة التي كان يسميها "الصادقة"، ولو كان النهي عن الكتابة متأخراً لمحاها عبد الله لأمر النبي ﷺ بمحو ما كتب عنه غير القرآن، فلما لم يمحها وأثبتها على أن الإذن في الكتابة متأخر عن النهي عنها، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال لهم في مرض موته: "ائتوني باللوح والدواة والكتف لأكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً"[3] وهذا إنما كان يكون كتابة كلامه بأمره وإذنه، وكتب النبي ﷺ لعمرو بن حزم كتاباً عظيماً فيه الديات، وفرائض الزكاة، وغيرها، وكتبه في الصدقات معروفة مثل كتاب عمر بن الخطاب، وكتاب أبي بكر الصديق الذي دفعه إلى أنس رضي الله عنهم إلى أن قال رحمه الله: إنما نهي النبي ﷺ عن كتابة غير القرآن في أول الإسلام لئلا يختلط القرآن بغيره فلما علم القرآن، وتميز، وأفرد بالضبط، والحفظ، وأمنت عليه مفسدة الاختلاط أذن في الكتابة[4].

---

(١) سنن أبي داود، باب كتابة العلم، رقم الحديث [٣٦٤٨]، [٥٢٥/٢].

(٢) مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية [١٧٧/١].

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، باب كتابة العلم (٤٣٥/٣).

(٤) عون المعبود، شرح سنن أبي داود، كتاب العلم، [٥٥/١٠].

لقد كان النهي في بداية الأمر منه ﷺ عن كتابة غير القرآن أمراً مهماً؛ حيث إن القرآن نزل على أمةٍ أمية وأدوات الكتابة محدودة، والكتاب يومئذٍ قليل. فلما أمن ﷺ من اشتباه بغيره، وأن الناس قد تمرسوا في هذا الدين وأخذوا يفرقون بين الوحي وغيره، وعرفوا أسلوب القرآن وبلاغته، وفصاحته وجزالته من غيره من الأساليب أذن لهم عليه الصلاة والسلام بكتابة غير القرآن فكان الناس يكتبون من حديث رسول الله ﷺ ما يكتبون.

ومن الآثار الواردة عنه ﷺ في ذلك ما: أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: قال: قلت يا رسول الله، أكتب ما أسمع منك؟ قال: نعم، قلت: في الرضا والسخط؟، قال نعم: فإنه لا ينبغي لي أن أقول في ذلك إلا حقاً[(١)].

وما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال لعبد الله بن الأرقم: أجب هؤلاء عني، فأخذ عبد الله الكتاب، فأجابهم، فجاء به فعرضه على النبي ﷺ، فقال: أجبت، قال عمر: فقلت: (رضي رسول الله ﷺ بما كتبت...)[(٢)].

وأخرج الإمام البخاري والإمام أحمد (رحمهما الله) عن أبي هريرة. قال: لما فتح الله على رسوله ﷺ مكة، قال رسول الله ﷺ فيهم فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: "إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وإنما أحلت لي ساعةً من النهار، ثم هي حرامٌ إلى يوم القيامة، لا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تحل لقطتها...فقام رجل من أهل اليمن، يقاله له: أبو شاه فقال: يا رسول الله اكتبوا لي، فقال اكتبوا له...[(٣)].

وقال ابن حجر: يستفاد من قصة أبي شاه أن النبي ﷺ أذن في كتابة الحديث عنه.

وقد جمع الحافظ ابن حجر رحمه أيضاً بين نهيه ﷺ عن كتابة شيء غير القرآن " لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن".

وإذنه بالكتابة (لأبي شاه) بقوله: والجمع بينهما أن النهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره، والأذن في غير ذلك. أو أن النهي خاص بكتابة غير القرآن مع القرآن في شيء واحد في تفريقهما، أو أن النهي متقدم والإذن ناسخ له عند الأمن من الالتباس

(١) مسند الإمام أحمد، رقم الحديث [٦٩٣٠]، [٦/٤٠٠]. الحديث إسناده صحيح.
(٢) الإصابة لابن حجر [٤/٤].
(٣) مسند الإمام أحمد (٧/٢٨٢).

وهو أقربها مع أنه لا ينافيها وقيل النهي خاص بمن خشي منه الاتكال على الكتابة دون الحفظ والإذن لمن أمن على ذلك[١].

(ز) اتخاذ الصحابة رضوان الله عليهم مصاحف..

لم تقتصر كتابة القرآن في عهد النبي ﷺ على كتابة القرآن بل كان هناك صحفٌ أخرى كتبها الأصحاب (رضوان الله عليهم) لأنفسهم، وقد أقر النبي ﷺ هذا العمل منهم، ونهاهم عن كتابة شيء عنه سوى القرآن. فكان اتخاذهم مصاحف (رضوان الله عليهم) نتيجة طبيعية للأذن النبوي بكتابة القرآن، وعدم كتابة شيء آخر فأصبحت هذه المصاحف بعد ذلك تنسب إليهم فيقال مصحف عمر، ومصحف أبي ومصحف ابن مسعود، وهكذا "فكان لأبي مصحفٌ يقرأه أهل الشام، وكان لعبد الله بن مسعود مصحفٌ يقرأه أهل الكوفة، وكان لأبي موسى الأشعري مصحفٌ يقرأه أهل البصرة وكان للمقداد بن الأسود مصحفٌ منتشر بين أهل حمص[٢].

ح- كتابة الصحابة التفسير مع القرآن..

قال المحقق ابن الجزري (رحمه الله): "نعم كانوا ربما يدخلون التفسير في القرآن. إيضاحاً وبياناً؛ لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي ﷺ قرآناً فهم آمنون من الالتباس، وربما كان بعضهم يكتبه معه"[٣]. ومن أمثلة ذلك قراءة ابن عباس رضي الله عنه "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم ي مواسم الحج" وقراءة ابن الزبير: "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم". قال عمرو فما أدري أكانت قراءته أم فسر؟ وقال ابن الأنباري وجزم أنه تفسير، وأخرج عن الحسن أنه كان يقرأ

---

(١) انظر شرح صحيح البخاري، باب كتابة العلم (٢٠٨/١).
(٢) انظر دراسات حول القرآن لبدران [٦٧].
(٣) النشر لابن الجزري [٣٢/١].

وإن منكم إلا واردها الورود الدخول قال الأنباري قوله الورود: الدخول تفسير من الحسن لمعنى الورود، وغلط فيه بعض الرواة فأدخله في القرآن[١].

والخلاصة أن بعض الصحابة الذين كانوا يكتبون القرآن لأنفسهم في صحف أو مصاحف خاصة بهم، ربما كتبوا فيها ما ليس بقرآن، مما يكون تأويلاً لبعض ما غمض عليهم من معاني القرآن، أو مما يكون دعاء يجري مجرى أدعية القرآن في أنه يصح الإتيان به في الصلاة عند القنوت أو نحو ذلك، وهم يعلمون أن ذلك كله ليس بقرآن[٢]، ولكن ندرة أدوات الكتابة وكونهم يكتبون القرآن لأنفسهم دون غيرهم، هون عليهم ذلك؛ لأنهم أمنوا على أنفسهم لبس واشتباه القرآن بغيره، فظن بعض قصار النظر أن كل ما كتبوه فيها، إنما كتبوه على أنه قرآن، مع إن الحقيقة ليست كذلك[٣].

---

(١) الإتقان [٢١٧/١]. قلت: وليس هو من تفسير الحسن، ولكنه من تفسير النبي ﷺ وسيأتي بيان ذلك في موضعه في الفصل الخامس إن شاء الله.

(٢) كدعاء القنوت الذي ورد عن أبي بن كعب ونصه " اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك، فهذا ضرب من الدعاء، وأنه لو كان قرآناً لنقل إلينا مثل القرآن وحصل العلم بصحته.

(٣) قلت وقد كتبوا في مصاحفهم غير القرآن- ويبدوا أن ذلك قد حدث بعد الإذن بالكتابة- مما شمل القراءة الشاذة، والتفسير لبعض الكلمات. وهذا ما يشير إليه المفسرون (رحمهم الله) بقولهم: وفي مصحف فلان كذا ومن هنا كانت دراستنا للقراءات الشاذة بين الرواية والتفسير وأثرها في التفسير والأحكام دراسة مقارنة، مستهلين ذلك بحقيقة الشذوذ وبالله التوفيق.

القراءات التفسيرية

المبحث الأول: تعريف القراءات التفسيرية في اللغة

المبحث الثاني: تعريف القراءات التفسيرية في الاصلاح

المبحث الثالث: الفرق بينهما وبين الشاذ

المبحث الأول

القراءات التفسيرية (في اللغة)

أولاً: مادة (ق.ر.أ)

القراءات: جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر سماعي لقرأ[١]، وقرأة يقرؤه، ويقرؤه..قرءا، وقراءة، وقرآناً... فهو مقروء...وقرأت الشيء قرآناً: جمعته وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلاً قط وما قرأت جنيناً قط، أي لم يضطمّ رحمها على الجنين... وفيه قول آخر لم تقرأ جنيناً، أي: لم تلقه. ومعنى قرأت القرآن: لفظت به مجموعاً، أي: ألقيته.. ورجل قارئ من قوم قُرّاء وقرأة وقارئين. وأقرأ غيره يقرئه إقراء، ومنه قيل فلان المقرئ... وقرأت الكتاب قراءة وقرآناً، ومنه سمي القرآن، وأقرأه القرآن، فهو مقرئ.. والأصل في هذه اللفظة الجمع وكل شيء جمعته فقد قرأته...وقارأه: مقارأة وقراء بغيرها: دراسة. واستقراء: طلب إليه أن يقرأ...ورجل قرأءٌ: حسن القراءة من قوم قرائين[٢].

ثانيا: مادة [ف.س.د]

فسر: الفاء والسين والراء: كلمة واحدة تدل على بيان الشيء وإيضاحه من ذلك الفسر، يقال: فسرت الشيء وفسرته. والفسر والتفسير نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه[٣]. والفسر: البيان. فسر الشيء يفسره بالكسر ويفسره بالضم فسراً وفسَّره: إبانه والتفسير مثله والتفسير والتأويل: والمعنى واحد قال تعالى (وأحسن تفسيراً).

والفسر كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل...واستفسرته: أي سألته أن يفسّر لي[٤].

---

(١) مناهل العرفان للزرقاني [٣٣٦/١].

(٢) لسان العرب لابن منظور. مادة [قرأ] [١٢٨/١].

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة [فسر] [٥٠٤/٤].

(٤) لسان العرب لابن منظور، مادة [فسر] [٥٥/٥].

والفسر: إظهار المعنى المعقول، ومنه قيل: لما ينبئ عنه البول تفسيره، وسمي بها قارورة الماء، والتفسير في المبالغة، كالفسر، والتفسير قد يقال: فيما يختص بمفردات الألفاظ، وغريبها، وفيما يختص بالتأويل، ولهذا يقال: تفسير الرؤيا وتأويلها[١].

وسفرت المرأة وجهها إذا كشفت النقاب عن وجهها تَفْسِر سُفوراً وسفرت المرآة نقابها تفسره سفوراً فهي سافرة: جلته[٢].

(والسين والفاء والراء): كأصل واحد يدل على الانكشاف والجلاء. من ذلك السفر سمي بذلك، لأن الناس ينكشفون عن أماكنهم وأسفر الصبح وذلك انكشاف الظلام، ووجه مسفر إذا كان مشرقاً مسروراً[٣].

وسفرت الريح الغيم عن وجه السماء سفراً فانسفر: فرقته فتفرق، وكشطه عن وجه السماء.

والمسافر كالسافر: وسمي المسافر مسافراً لكشفه قناع الكِنّ عن وجهه، ومنازل الحضر عن مكانه[٤].

---

(١) مفردات الر اغب الاصفهاني، مادة [فسر] [ص٣٨٠].

(٢) لسان العرب لابن منظور [٤/٣٧٠] وانظر مفردات الراغب [ص٣٨٠]، والقاموس المحيط [ص٥٨٧].

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (سفر) [٣/٨٢].

(٤) لسان العرب لابن منظور [٤/٣٦٧] مادة [السفر].

المبحث الثاني

القراءات التفسيرية (في الاصطلاح)

لقد امتلأت كتب التفسير بإطلاق الشاذ على غير المتواتر الذي تحويه دفتا المصحف، وقد لا يكون ما أطلقوه من الشاذ بل قد يكون لوناً من ألوان التفسير تركه من سبقهم.

وقد نبه بعض المفسرين على ما يظن بأنه قراءة، أنه لونٌ من التفسير وليس قراءة، ولكنهم (رحمهم الله) لم يحددوا لذلك ضابطاً أو تعريفاً.

وعلى هذا أستطيع أن أقول (وبالله التوفيق): **إن القراءات التفسيرية هي: ما ورد تبياناً مختصراً لجزء من النص القرآني كبيان حكم مجمع عليه**[(١)].

أو إيضاح حكم يقتضي الظاهر خلافه[(٢)] **ودفع وهم ما ليس مراداً أو مفسراً لما لعله لا يُعرف**[(٣)] **أو تفسير القراءة المشهورة وتبين معانيها**[(٤)]. **أو بيان كلمة بكلمة أوضح منها**[(٥)]. إلى غير ذلك مما أورده أهل العلم وأرادوا أن يستشهدوا به على تأويل ما بين اللوحين ويكون دلائل على معرفة معانيه وعلم وجوهه. وهو كما ترى فرق كبير بينه وبين

---

(١) كقراءة سعد بن أبي وقاص وله أخ أو أخت من أم. فإن هذه القراءة تبين أن المراد بالإخوة هنا هو: الإخوة للأم وهذا أمر مجمع عليه ولذلك اختلف العلماء في المسألة المشرَّكة وهي زوج وأم أو جدة واثنان من إخوة الأم وواحد أو أكثر من إخوة الأب والأم، فقال الأكثرون من الصحاة وغيرهم بالتشريك بين الإخوة؛ لأنهم من أم واحدة وهو مذهب الشافعي ومالك وإسحاق وقال جماعة من الصحابة يجعل الثلث لإخوة الأم ولا شيء لإخوة الأبوين لظاهر القراءة الصحيحة وهو مذهب أبي حنيفة. النشر [٢٨/١] البرهان للزركشي [٤٨٦/١]، مناهل العرفان للزرقاني [١٢٥/١].

(٢) كقراءة [فامضوا إلى ذكر الله] لأن قراءة [فاسعوا] يقتضي ظاهرياً المشي السريع وليس كذلك. فكانت القراءة الأخرى موضحة لذلك ورافعة لما يتوهم منه. انظر النشر [٢٩/١]، مناهل العرفان [١٢٦/١].

(٣) مثل قراءة [كالصوف المنفوش] فينت القراءة الثانية أن العهن هو الصوف. انظر مناهل العرفان [١٢٦/١] النشر [٢٩/١].

(٤) وذلك كقراءة عائشة رضي الله عنها (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى [صلاة العصر] انظر البرهان [٤٨٦/١]. ولمزيد من الاطلاع على هذه الروايات التفسيرية انظر فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص ١٦٢).

(٥) كقراءة أبي [ولكل وجهة هو موليها] [ولكل قبلة].

الشاذ. لذلك قال ابن الجزري: نعم كانوا ربما يدخلون التفسير في القراءة إيضاحاً وبياناً؛ لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي ﷺ قرآناً، فهم آمنون من الالتباس وربما كان بعضهم يكتبه معه[1].

ومما أجاب به الإمام الحافظ أبو عمرو بن الصلاح.

وأبو عمرو بن الحاجب عن السؤال الذي ورد دمشق من العجم هل تجوز القراءة بالشاذ؟ ما نصه: وإنما نقلها من نقلها (أي القراءات الشاذة) لفوائد فيها تتعلق بعلم العربية لا للقراءة بها هذه من استقام سبيله[2]. وقد عقد الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه فضائل القرآن باباً سماه باب الزوائد من الحروف التي خولف بها الخط في القرآن احتوت على الكثير من الروايات التفسيرية وقال في آخر الباب مبيناً المقد من هذه القراءات: فأما ما جاء من هذه الحروف التي لم يؤخذ علمها إلا بالإسناد والروايات التي تعرفها الخاصة من العلماء دون عوام الناس، فإنما أراد أهل العلم منها أن يستشهدوا به على تأويل ما بين اللوحيين ويكون دلائل على معرفة معانيه، وعلم وجوهه وذلك كقراءة حفصه وعائشة "حفظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر"، وكقراءة ابن مسعود "والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم".

ومثل قراءة أبي بن كعب "للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فآءو فيهن". وكقراءة سعد فإن كان له أخ أو أخت من أمه وكما قرأ ابن عباس "لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج". وكقراءة جابر "فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم".

فهذه الحروف وأشباه لها كثيرة، قد صارت مفسرة للقرآن.

وقد كان يروي مثل هذا عن بعض التابعين في التفسير فيستحسن ذلك.

فكيف إذا روي عن لباب أصحاب محمد ﷺ، ثم صار في نفس القراءة، فهو الآن أكثر من التفسير وأقوى. وأدنى ما يستنبط من علم هذه الحروف معرفة صحة التأويل على أنها من العلم الذي لا يعرف العامة فضله، إنما يعرف ذلك العلماء.

---

(١) النشر [٣٢/١].

(٢) منجد المقرئين لابن الجزري. [١٨].

فقراءة من قرأ ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ وجدتها في قراءة أبي (تنبئهم) علمت أن وجه القراءة تكلمهم.

ثم قال: وفي أشياء من هذا كثير، لو تدبرت وجد فيها علم واسع لمن فهمه[1].

وقال الإمام جلال الدين السيوطي في كتابه الإتقان بعد أن ذكر أنواع القراءات وأنها خمسة أنواع فقال: وظهر لي سادس: وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير كقراءة سعد بن أبي وقاص (وله أخ أو أخت من أم)، وقراءة ابن الزبير (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم).

قال عمرو: فما أدري أكانت قراءته أم فسر؟ أخرجه سعيد بن منصور وأخرجه ابن الأنباري وجزم بأنه تفسير.

وأخرج عن الحسن أنه كان يقرأ (وإن منكم إلا واردها) الورود: الدخول: قال ابن الانباري: قوله الورود: الدخول. تفسير من الحسن المعنى الورود، وغلط فيه بعض الرواة فأدخله في القرآن[2].

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد [ص ١٩٥].

(٢) الإتقان للسيوطي [٢١٧/١].

(المبحث الثالث)

الفرق بينها وبين الشاذ

لقد مر بنا في المبحث السابق كيف أن كتب التفسير وغيرها امتلأت بالقراءات التفسيرية، وأطلق عليها أنها شاذة وفي الحقيقة أنها ليست من الشذوذ في شيء بل هي محض تفسير لما بين اللوحين؛ لذا أريد في هذا المبحث أن الفرق بين القراءتين لتكون فرقاناً بين القراءات التفسيرية والشاذة ويتضح من خلالها الموضوع وتنجلي هذه الشبهة وتعرف العامة فضل هذا العلم، فأقول (وبالله التوفيق وعليه التكلان) فمن جهة نظري:

القراءة الشاذة:

نقلت لنا على أساس أنها كانت قرآن ففقدت شرطاً فحكم عليها بالشذوذ فهي رواية من روايات القرآن.

وأما القراءات التفسيرية نقلت لنا بياناً مختصراً لجزء من النص القرآني لما بين اللوحين. فغلط الرواة في نقلها وأدخلت على أساس أنها قراءة شاذة.

القراءة الشاذة:

منها ما سقط في الصدر الأول بعد العرضة الأخيرة وبعد جمع عثمان ومنها ما استمر على صحته إلى أن فقد شرطاً مهماً من شروط الرواية. وأما التفسيرية لم يقرأ بها أصلاً.

القراءة الشاذة:

جزء من الأحرف السبعة، وليس ذلك للقراءة التفسيرية بل هي محض تفسير.

القراءة الشاذة:

تبني عليها أحكام تشريعية أخذ بها كثير من العلماء، وليس ذلك للقراءة التفسيرية.

القراءة الشاذة:

لا تُكَذَّب ولا يقرأ بها ولا تُجحد وليس ما صنع من جحدها وأما التفسيرية ليس لها هذا الحكم.

القراءة الشاذة:

اصطلاحٌ أجمعت عليه الأمة وتناقلته بالرضا والقبول، وأما القراءات التفصيلية فمصلحٌ لا يعرفه العلماء؛ لأنها ليست قراءة أصلاً، ولا يصح إطلاق القراءة عليها، لأنها تفسير محضٌ.

من ثبت عنده قراءة شاذة كقراءة الأعمش شيخ حمزة أو شيخ يعقوب- وهي شاذة خرجت بتأليف ابن مجاهد لكتاب السبعة- ونحوهما كما ثبتت عنده قراءة حمزة والكسائي فله أن يقرأ بها بلا منازع، وليس ذلك للقراءة التفسيرية.

- القراءة الشاذة:

ما يحتمله رسم المصحف من جهة، وليس كذلك القراءات التفسيرية.

- القراءة الشاذة:

تتميز بثبوت الرواية عن الراوي وأما التفسيرية فتختلف من راوي لآخر سواءً في نسبتها لقارئها أو بالزيادة والنقص من كتاب لآخر.

- القراءة التفسيرية:

هي عبارة عن مزيج بين القرآن والحديث الشريف وتفسير الصحابة، بخلاف القراءة الشاذة في رواية من روايات القرآن الكريم.

ومما يجب أن أشير إليه في هذا المقام هو أن الذي سبب إطلاق القراءة التفسيرية هو قول الراوي: وقرأ فلان كذا؛ لأنه رآها في مصحف الصحابي بهذه الصيغة فوهم فنقلها على أنها قرآن أو سمعها منه في المجلس العلمي وحلقة العلم فقال: وقرأ فلان كذا.

قال ابن عطية (رحمه الله): فأما ابن مسعود فأبى أن يزال مصحفه فترك ولكن أبي العلماء قراءته سداً للذريعة؛ ولأنه روي أنه كتب فيه أشياءاً على جهة التفسير فظنها قومن التلاوة، فتخلط الأمر فيه ولم يسقط فيما ترك معنى من معاني القرآن، لأن المعنى جزء من الشريعة، وإنما تركت ألفاظ معانيها موجودة في الذي أثبت[1] وقال عبد العلي الأنصاري فيما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه بعد أن ذكر هذه النسبة غير صحيحة، لأنه لم ينقل قرآناً ولأنه لو كان عنده من القرآن لكان مقروءاً هذه القراءات فقال: وأيضاً ابن مسعود قرأ

(١) تفسير المحرر الوجيز لابن عطية [٤٨/١].

متتابعات أو كتبه في مصحفه على وجه التفسير، فوهم الراوي لعدم تعمقه أنه من القرآن عنده[1].

قال النووي رحمه الله: وأما ابن مسعود فرويت عنه روايات كثيرة منها ما ليس بثابت عند أهل النقل، وما ثبت منها مخالفاً لما قلناه، فهو محمول على أنه كان يكتب في مصحفه بعض الأحكام والتفاسير مما يعتقد أنه ليس بقرآن، وكان لا يعتقد تحريم ذلك، وكان يراه كصحيفة يثبت فيها ما يشاء[2].

قال القاضي إسماعيل: وكذلك ما روي من قراءة ابن مسعود، وغيره. ليس لأحد أن يقرأ اليوم به؛ لأن الناس لا يعلمون أنها قراءة عبد الله، وإنما هي شيء يرويه بعض من يحمل الحديث[3].

وقال الباجي في قصة أم المؤمنين عائشة- عندما أمرت كاتبها أن يكتب لها مصحفاً فإذا بلغ هذه الآية ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ أن يعلمها، فلما بلغ أملت عليه والصلاة الوسطى وصلاة العصر: فأما غير ذلك مما كان يكتب من معنى التفسير فأجمعوا على المنع منه، وقوله (أي مولى عائشة) فلما بلغتها آذنتها: إنما أمرت أن يستأذنها لما أرادت أن تملي عليه زيادة لم تكن تثبت في المصحف الذي كانت ينتسخ منه ولا في غيره مما يمكنه أن ينسخ منه، وإنما روت أنها سمعت تلك الزيادة من النبي ﷺ فأرادت أن تثبتها في المصحف لذلك ولو لم يكن يقوم به نفع[4].

وقال أبو العباس ابن عمار: وأصح ما عليه الحذاق من أن الذي يقرأ الآن بعض الحروف السبعة المأذون في قراءتها لا كلها، وضابطة ما وافق رسم المصحف فأما ما خالفه مثل "أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج" ومثل "إذا جاء فتح الله والنصر" فهو من تلك القراءات التي تركت إن صح السند بها، ولا يكفي صحة سندها في إثبات كونها قرآناً،

---

(١) كتاب فتح الرحموت [١٩/١]. وستأتي ترجمته قريباً.

(٢) صحيح مسلم [٣٤٩/٦] فيما حكاه عن القاضي المازري.
(٣) الإبانة لمكي بن أبي طالب [٦٢].
(٤) كتاب المنتقى للباجي [٢٤٤/١].

ولا سيما والكثير منها مما يحتمل أن يكون من التأويل الذي قرن إلى التنزيل فصار يظن أنه منه[1].

لذ نجد أن عبد البر ينص على إجماع العلماء أن ما نقل وروي من القراءات في الآثار عن النبي وابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وغيرهم لا يقطع بشيء من ذلك على الله: فقال: وأجمع العلماء أن ما في مصحف عثمان بن عفان وهو الذي بأيدي المسلمين اليوم في أقطار الأرض حيث كانوا، هو القرآن المحفوظ الذي لا يجوز لأحد أن يتجاوزه، ولا تحل الصلاة لمسلم إلا بما فيه، وإن كل ما روي من القراءات في الآثار عن النبي ﷺ أو عن أبي أو عمر ابن الخطاب، أو عائشة، أو ابن مسعود أو ابن عباس أو غيرهم من الصحابة مما يخالف مصحف عثمان المذكور، لا يقطع بشيء من ذلك على الله عز وجل، ولكن ذلك الأحكام يجري في العمل مجرى خير الواحد[2].

قلت: ثم إن قول الراوي قرأ فلان كذا. لا يقصد به أنه سمعه منه في الصلاة أو على أساس أنه قرآن كما يظن لأول وهلة ولو كان كذلك لقال أقرأني أُبي بكذا وسمعته يقرأ في الصلاة بكذا، كما هو الشأن عند إثبات القرآن من الراوي فمثلاً قوله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۚ ﴾ نقل في الشواذ أن الحسن قرأ "واتبعوا ما كتب الله لكم" وذلك إن ابن عباس جوزها فهل معنى (قرأ) هنا أن الحسن قرأ بها في الصلاة وكذلك ابن عباس رضي الله عنه، بل أن ابن عباس مثبت متبع لما جاء بين اللوحين ولكه أشار رضي الله عنه لوجه من وجوه التفسير في هذه الآية[3] وكذلك قوله تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ ﴾.

فنقل الرواة عن ابن عباس أنه قرأ " ولم تجدوا كتاباً" وقال ابن عباس: وقد يوجد الكاتب ولا توجد الصحيفة[4].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري [٩/٣٠] فيما نقله ابن حجر عنه.
(٢) التمهيد لابن عبد البر [٤/٢٧٨].
(٣) انظر تفسير القرطبي [٢/٣١٣].
(٤) معاني القرآن للنحاس [١/٣٢٤].

فهل كلمة (قرأ) هنا دلت على أن ابن عباس قرأها في الصلاة أو سمعت منه وهو يقرئ بها الناس؟ ولكنه أحب أن يبين، ويشير إشارة لطيفة إلى أن الكاتب والصحيفة صنوان.

وكذلك ما روي عن أبي ذر (رضي الله عنه) أنه قال: دخلت المسجد حين غابت الشمس، والنبي ﷺ جالس، فقال: أتدري يا أبا ذر أين تذهب هذه؟ قال قلت الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب فتستأذن في السجود فيؤذن لها، وكأنها قيل لها: أطلعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، قال ثم قرأ "ذلك مستقر لها"[1] فدل هذا على أن (قرأ) لا يقصد منها أنها قرآن يتلى، ولكن هي تعني التأويل تارة، والتعليم، والمدارسة من المعلم لمن يعلمه. ودليلنا على ذلك ما أخرجه البخاري (رحمه الله) بسنده عن أبي ذر عندما سأله النبي ﷺ من أين تغرب الشمس، إلى أن قال النبي ﷺ عليه وسلم "إنها تذهب حتى تسجد تحت العرش" فذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾[2].

فتبين قول النبي ﷺ "ذلك مستقر لها" أنها ليست قراءة كما يتبادر للأذهان أول مرة وإنها رواية من روايات القرآن الكريم، بل هو تفسير منه ﷺ. أي ذلك يا أبا ذر وما أخبرتك من سجودها تحت العرش- مستقر لها. ثم قوله ﷺ، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا ﴾ولم يقل ﷺ "ذلك مستقر لها" فعندما قال ﷺ فذلك قوله تعالى، ذكر لفظ القرآن كما هو، وأما الرواية السابقة لم يقل ﷺ فذلك من قوله تعالى مما يؤكد أنه تفسير منه. والله أعلم. وسيأتي إن شاء الله بيان كلمة (قرأ) (واقرأني) من حيث اللغة وماذا تعني، ومما يؤكد هذا أيضاً أنك تجد في بعض ما نقل عن الصحابي بلفظ (قال) وعند آخر بلفظ (قرأ) مما يدل على وجود كتابة من الصحابي في مصحفه فجاء بعض من يحمل الحديث فظنها قرآناً فقال لعدم تعمقه قرأ فلان كذا ورأيت في مصحف فلان كذا فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ ﴾نجد عند القرطبي في تفسيره ما نصه، قال ابن عباس وغيره: المعنى يخوفكم أولياءه[3].

---

(١) سنن الترمذي. كتاب التفسير، رقم الحديث [٣٢٤١] [٣٦٤/٥]

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، رقم الحديث [٨٤٠٢]، [٥٤١/٨]. والآية من سورة يس، الآية:٣٨.

(٣) انظر تفسير القرطبي [٢٧٥/٤].

بينما نجد عند أبي حيان[1] يقول: ويدل على هذا الوجه (قراءة) ابن مسعود، وابن عباس «يخوفكم أولياءه»[2] فدل هذا على أن كلمة (قرأ) لا تعني ما يتبادر للسامع من أول وهلة أنها من القرآن في شيء أو سمع منهم في صلواتهم.

ونجد أيضاً في مثال آخر عند ابن جرير الطبري عند قوله تعالى ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ يقول: كان ابن عباس يقول: " وما يعلم تأويله إلا الله يقول الراسخون آمنا"[3].

بينما نجد عند أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف يقول: كان ابن عباس يقرأ: " وما يعلم تأويله ويقول الراسخون آمنا به"[4].

ونجد في مثال آخر في الدر المنثور عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه قرأ قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ ﴾[5] " أكاد أخفيها من نفسي".

بينما نجد ابن أبي حاتم أخرج عنه رضي الله عنه بلفظ قال: "أكاد أخفيها من نفسي" فذكرها على أنها تفسير لا قراءة وسبب ذلك والله أعلم هو أن ابن عباس قال عند تفسير هذه الآية؛ لأنها لا تخفى من نفس الله أبداً، فتأول الآية على هذا المعنى فقرأ "أكاد أخفيها من نفسي"[6]. فظن الراوي أنها قراءة منه رضي الله عنه فقال وقرأ ابن عباس كذا ونقل عن عباس أيضاً أنه قرأ قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ ﴾ "حتى تستأذنوا وتسلموا" فيما أخرجه عنه ابن جرير الطبري وابن عطية في تفسيرهما.

وعند البحث وجدت أبا جعفر النحاس ذكر الخبر عنده عن ابن عباس على جهة أنه تفسير بلفظ (قال) وليس لفظ (قرأ) فقال:

---

(١) تقدمت ترجمته.
(٢) انظر البحر المحيط لابن حيان [١٢٥/٣].
(٣) انظر تفسير الطبري [٣٤٨/٣].
(٤) انظر كتاب المصاحف [٧٦].
(٥) النهاية لابن الجزري [٣٢٠/١].
(٦) انظر تفسير ابني أبي حاتم [٢٤١٨/٧]، والدر المنثور [٥٢٥/٤].

قال عبد الله ابن عباس: إنما هو حتى تستأذنوا[1]، وأخرج ابن الأنباري في المصاحف عن الحسن فيما ذكره السيوطي في الدر المنثور أنه (قرأ) قوله تعالى: ﴿ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِى أَحْسَنَ ﴾ " تماماً على المحسنين".

بينما أخرج ابن جرير الطبري والماوردي وأبو المظفر السمعاني في تفاسيرهم الخبر عن على جهة التفسير بلفظ (قال) (لا) أنها قراءة قرآن.

فقال أبو المظفر: و (قال) الحسن: معناه تماماً على المحسنين. وقال الماوردي: تماماً على المحسنين، قاله الحسن. وأما الطبري أخرج بسنده عن مجاهد في قوله "تماماً على الذي أحسن": " المؤمنين والمحسنين"[2].

وكذلك ما روى عن مجاهد أنه قرأ قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ ﴾ "وإن تصبهم سيئة يتشاءموا بموسى" فهذا عند البحث كذلك جاءت الآثار عنه في بعض الكتب بلفظ (قال) فقال أبو جعفر النحاس: قال مجاهد: السيئة هنا: البلاء، ومعنى يطيروا: يتشاءموا، وكذلك أخرج ابن أبي شيبة، وابن حميد، وابن جرير، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ فيما ذكره السيوطي عنهم في الدر المنثور عن مجاهد بلفظ (قال) على جهة التفسير لا على أنه قرآن؛ لذا نجد أبا حيان يقول: وما روي من أن مجاهداً قرأ "يتشاءموا" مكان (تطيروا) فينبغي أن يحمل ذلك على التفسير لا على أنه قرآن لمخالفته سواد المصحف[3].

وكذلك ما روي عن ابن عباس أنه قرأ قوله تعالى: ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ ﴾ "تخزون به عدو الله" فقد أخرج الطبري بسنده الخبر عن مجاهد عن ابن عباس بلفظ (قال) فقال: قال ابن عباس ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ ﴾ تخزون به عدو الله وعدوكم. لذا قال أبو

---

(١) انظر تفسير الطبري [١٤٥/١٠].، ابن عطية [١٧٥/٤]، ومعاني القرآن للنحاس [٥١٦/٤].

(٢) انظر تفسير الطبري [١١٩/٥]. وتفسير أبو المظفر [١٥٨/٢]. والدر المنثور [١٠٧/٣]. وتفسير الماوردي [١٨٩/٢].

(٣) انظر الدر المنثور للسيوطي [٢٠٢/٣] ومعاني القرآن للنحاس [٦٨/٣٠]، والبحر المحيط لأبي حيان [٣٧٠/٤].

حيان مشدداً على أن هذا تفسير من ابن عباس وليس قرآن ما نصه: وهو الذي ينبغي، لأن مخالف لسواد المصحف[1].

وكذلك ما ذكره ابن عطية، وأبو بكر الأنباري، فيما ذكره عنه القرطبي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إنها قرأت قوله تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾، "وإن يدعون من دونه إلا أوثانا"[2].

فقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عنها (رضي الله عنها) الأثر على أنه تفسير لا على إنه قرآن فقال حدثنا أبي، ثنا....(ثم ساق سنده حتى بلغ: عن عائشة: قالت: "أوثاناً"[3].

والروايات التفسيرية في الحقيقة، لا تقف عند هذا الحد بل قد ينسب لشخص أنه (قرأ) كذا، ويكون هذا المقروء بقية من حديث للنبي ﷺ، فمثلاً: نُسب لابن عمر (رضي الله عنهما) أنه قرأ قوله تعالى ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم ... ﴾، " فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها"[4].

وعند البحث وجدت أن هذه القراءة والتي ذكرت على أساس أنها آية شاذة هي حديث صحيح رواه ابن عمر عن النبي ﷺ ففي كتاب أحكام القرآن لابن العربي بعد أن ذكر آية صلاة الخوف قال: قال رسول الله ﷺ "صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً، فأن لم

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية [٥٤٦/٢]، والبحر المحيط [٥٠٨/٤]، وجامع البيان للطبري [٤٠/٦].

(٢) انظر البحر المحيط في الأصول للزركشي [٤٧٧/١].
(٣) انظر تفسير القرطبي [٣٦٨/٥]، وتفسير ابن عطية [١٣/٢] وابن أبي حاتم [١٠٦٧/٤] وابن كثير [١٦٤/٢].
(٤) انظر البحر المحيط في الاصول للزركشي [٤٧٧].

تستطع فعلى جنب"[1] وقال في الصحيح من رواية ابن عمر في حال الخوف: "فإن كان خوف أكثر من ذلك صلوا قياماً وركباناً مستقبلي القبلة وغير مستقبليها[2].

وكذلك ما روي عن علي رضي الله عنه أنه قرأ قوله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ " وتجعلون شكركم إذا مطرتم أنكم تكذبون" فعند البحث وجدت أن هذه بقية من أثر الرسول ﷺ رواه عنه علي رضي الله عنه. فقد أخرج الترمذي (رحمه الله) بسنده عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ قال: شكركم، تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا، وبنجم كذا وكذا[3].

وكذلك ما روي عن أُبي بن كعب رضي الله عنه أنه قرأ قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ وَمَا ٱخْتَلَفَ ﴾ " إن الدين عند الله الحنفية لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية" فعند البحث وجدت أن هذا الأثر ليس قرآناً يتلى وإنما هو أثر عن النبي ﷺ: فقد أخرج النيسابوري (رحمه الله) في مستدركة على الصحيحين عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ:

إن الله قد أمرني أن أقرأ عليك القرآن. فقرأ ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ ... ﴾، ومن نعتها لو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأعطيه سأل ثانياً، وسأل ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب وإن الدين عند الله الحنفية غير اليهودية ولا النصرانية ومن يعمل خيراً فلن يكفره)[4].

وكذلك ما روي عن أبي أنه قرأ قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾" وأما الغلام فكان كافراً" فهذا أيضاً ليس قرآناً وإنما هو حديث سمعه أبي من النبي ﷺ وبغلط من الرواة نسبت له على أنها قرآن، وبهذا الغلط تحول هذا التفسير عن النبي ﷺ إلى كتب الشواذ

---

(١) وأخرج محقق أحكام القرآن لابن العربي وأخرج هذا الأثر من [صحيح البخاري] [٦٠/٢]. وسنن ابن داود [٩٥٣]، الترمذي [٣٧٣] وابن ماجة [١٢٢٣].

(٢) انظر أحكام القرآن لابن العربي (٣٠٣/١).

(٣) انظر سنن الترمذي. كتاب تفسير القرآن [٤٠١/٥]، ولحديث حسن غريب صحيح.

(٤) انظر المستدرك. كتاب التفسير. حديث رقم (١٨/٢٢٨٩)، الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

بسبب إطلاق الراوي عبارة (قرأ) فلان ففقدت مكانتها كأحد عيون التفسير عن النبي، وعن الصحابة والتابعين. فقد أخرج الترمذي في سننه، وبسنده عن أبي كعب قال: قال رسول الله ﷺ: الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً، وعنه أيضاً قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في قوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ... ﴾وكان طبع يوم طبع كافراً[1].

ومن الروايات التفسيرية أيضاً، ما يقع كالمدرج في الحديث، ومن هذا النوع: ما أخرجه الترمذي بسنده عن ابن عباس قال: خشيت سودة أن يطلقها النبي ﷺ فقالت: لا تطلقني وأمسكني، واجعل يومي لعائشة ففعل: فنزلت (فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز).

قال الترمذي: كأنه من قول ابن عباس- أي فيما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز- قلت: وقد صدق الترمذي عندما قال (وكأنه من قول ابن عباس) إذ أنني عند البحث ومقابلة النصوص بعضها ببعض، وجدت ما يقطع شك الترمذي (رحمه الله) باليقين، فعندما ذكر ابن كثير الخبر في تفسيره عن ابن عباس قال: قال ابن عباس: فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز[2]- فتبين أن هذه الزيادة أدرجت في الآية وليست هي من القرآن في شيء وإنما هي من قول ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه. وكذلك ما روي عن حذيفة (رضي الله عنه) في كتب الشواذ أنه (قرأ) قوله تعالى ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ "اقتربت الساعة وقد انشق القمر" وعند البحث وجدت أنها ليس كما روي أنها قرآن يتلى كما ظننا أول وهلة؛ لاعتبار كلمة (قرأ) الموهمة بذلك بل هي جزء من خطبة له رضي الله عنه من على منبره، فقد أخرج الإمام الطبري (رحمه الله) بسنده عن أبي عبد الرحمن السلمي.

قال: نزلنا المدائن، فكنا منها على فرسخ، فجاءت الجمعة، فحضر أبي وحضرت معه فخطبنا حذيفة، فقال: ألا أن الله يقول: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ ألا إن الساعة قد اقتربت ألا وإن القمر قد انشق ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار، وغداً السباق، فقلت لأبي أتستبق الناس غداً؟ فقال يا بني إنك لجاهل: إنما هو السباق

(١) انظر سنن أبي داود. كتاب السنة. رقم الحديثين [٤٧٠٥، ٤٧٠٦]، [٢٣٢/٣]

(٢) انظر سنن الترمذي، باب التفسير [ف/٢٤٩]، حديث حسن غريب، وانظر تفسير ابن كثير [١٧٣/٢].

بالأعمال، ثم جاءت الجمعة الأخرى فحضرنا فخطب حذيفة فقال.. ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق[1].

وكذلك أيضاً ما روي عن ابن عباس أنه قرأ قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ " ومنهم من بدل تبديلا" وأيضا "ومنهم من ينتظر وآخرون بدلوا تبديلا" فقد ذكر ابن عطية رحمه الله) أن قراءة عبد الله هذه كانت من على منبره في البصرة فنقلت عنه كما نقل عن حذيفة أنه (قرأ) كذا وأن هذا قرآن يتلى[2].

ومن القراءات التفسيرية ما يقع على وجه الخطأ والسهو فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أنه قرأ قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ .. ﴾ "وجاءت سكرة الموت بالحق" فقال القرطبي (رحمه الله): قد زعم من طعن على القرآن فقال أخالف المصحف، كما خالف أبو بكر الصديق "وجاءت سكرة الحق بالموت"، فاحتج عليه بأن أبا بكر رويت عنه روايتان: أحدهما موافقة للمصحف فعليها العمل والأخرى مرفوضة تجري مجرى النسيان منه، وإن كان قاله، أو الغلط من بعض من نقل الحديث.

قلت: وقد صدق القرطبي رحمه الله عندما قال: والأخرى: مرفوضة تجري مجرى النسيان منه، وإن كان قالها- إذ أن معرفة ظروف وملابسات الموضوع ومعرفة متى قالها رضي الله عنه تؤيد قول القرطبي رحمه الله فقد أخرج أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما حضر أبو بكر الوفاة قلت:

وأبـــيض يســـتقي الغمـــام بوجهـــه ربيـــع اليتـــامى عصـــمة للأرامـــل

فقال أبو بكر: " بل جاءت سكرة الحق بالموت"[3] فتأمل رعاك الله حال أبي بكر وهو في سكرات الموت وصدور هذه الآية عنه ثم يقال بعد ذلك وقرأ أبو بكر كذا.

وتتتابع الروايات التفسيرية، فنجد الاضطراب في نسبتها لأصحابها فتارة تنسب لشخص، وتارة لآخر، وتارة تأتي مجهولة، وليس كما هو الحال في القراءات الشاذة حيث نجد

---

(١) انظر جامع البيان للطبري [١١٤/١٣].

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية [٣٧٨/٤].

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد ص [١٨٤].

النسبة لا تختلف من كتاب لآخر؛ لأنها رواية من روايات القرآن ففقدت أحد الشروط- فمثلاً نجد عند ابن عطية في المحرر الوجيز يقول: وفي مصحف ابن مسعود " ولما صبر عن موسى الغضب" بينما نجد أن أبا المظفر السمعاني في تفسيره يقول: وفي مصحف ابن مسعود وأبي " " ولما سُير عن موسى الغضب" ونجد عند أبي حيان قوله: وفي مصحف أبي " ولما أنشق عن موسى "[(١)].

ونجد أيضاً عند أبي المظفر السمعاني قوله: وفي مصحف حفصة "وإنما أسكت عن موسى الغضب" بينما نجد الأثر عند أبي حيان مجهولاً دون نسبته لأحد فيقول: وقرئ (أسكت)[(٢)].

وبعد هذا الاستعراض لبعض الأدلة فإني أحببت أن أذكر هنا مثالاً يوضح غلط الرواة، حتى يتضح الموضوع (إن شاء الله): فهذا أبو هريرة رضي الله عنه: سئل عن الصلاة الوسطى فقال للذي سأله: ألست تقرأ القرآن؟ قال بلى قال فإني سأقرأ عليك بهذا القرآن حتى تفهمها قال تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾: المغرب. وقال: (من بعد صلاة العشاء) العتمة وقال قرآن الفجر ﴿ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴾ الغداة، ثم قال: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ ﴾ هي العصر هي العصر[(٣)]. فهذا مثال يوضح غلط بعض الرواة عند تدريس الصحابة لهم، وتعليمهم لهم، فينطلق هذا الراوي بعد ذلك ويقول: قرأ أبو هريرة "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى هي العصر"، وهذا هو الذي حدث لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وحفصة وذكر أنهما قرأتا "والصلاة الوسطى صلاة العصر" فالصحيح أنهما سمعتا النبي ﷺ يفسر الآية فأمرت كل واحدة منهن كاتبها أن يكتب إذا بلغ هذه الآية "والصلاة الوسطى صلاة العصر" ثم نقل عنهما إنهما قرأتا ذلك على أنه قرآن.

---

(١) انظر المحرر لابن عطية [٤٥٩/٢]، وأبو المظفر [٢١٩]، وتفسير أبو حيان [٣٩٦/٤].

(٢) انظر تفسير أبو حيان [٣٩٦/٤] ٢٨، وأبو المظفر [٢١٩/٢].

(٣) ذكر هذا الأثر ابن حزم في كتابه المحلي بالآثار [١٧٩/٣].

فهذه عائشة رضي الله عنها توصي لجارتها بمتاعها، فوجدت جارتها في مصحفها بعد أن أنتقل لها المتاع: "إن الله وملائكته يصلون على النبي والذين يصفون الصفوف الأول"[١].

فعند البحث وجدت أن هذا الأثر ليس قرآناً كما يظن، وإنما هو من أقوال المصطفى ﷺ حيث أخرج الدارمي، وأبو داود في كتاب الصلاة، وابن ماجة، والنسائي، والإمام أحمد هذا الأثر عن النبي ﷺ أنه قال: (سوّوا صفوفكم لا تختلف قلوبكم) قال: وكان يقول: إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول أو الصفوف الأول[٢].

وأما ما ذكر عن الإمام مالك (رحمه الله) بأنه جوّز أن يقرأ بمثل ما قرأ عمر بن الخطاب (فامضوا إلى ذكر الله) بدل (فاسعوا) وبما قرأ عبد الله بن مسعود الرجل أثناء تعليمه: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ فجعل الرجل يقول: طعام اليتيم، فقال: ابن مسعود طعام الفاجر.

فعن هذا وأمثاله نقل الإمام ابن عبد البر (رحمه الله) في كتابه التمهيد إجماع أهل العلم أن ذلك على وجه التعليم فقال: إن ذلك محمول عند أهل العلم اليوم على القراءة في غير الصلاة على وجه التعليم، والوقوف على ما روي في ذلك من علم الخاصة[٣].

وهنا بعد هذا الاستعراض لا بد لنا من وقفة مع كلمة (قرأ) و (أقرأني) من حيث اللغة وما هي دلالة كل لفظة، وما هو اللفظ المراد عند تحمل الرواية حتى ينجلي الأمر وتتم الفائدة ويحصل المقصود:

فأما كلمة (قرأ) في اللغة: فتارة تأتي بمعنى "الجمع والضم" قال ابن منظور: قرأت الشيء قرآناً: جمعته: وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سليّ قط، وما قرأت جنيناً قط أي لم يضطم رحمها على ولد وتارة تأتي بمعنى (الإلقاء): قال ابن منظور: لم تقرأ جنيناً، أي لم تلقه ومعنى قرأت القرآن: لفظت به مجموعاً، أي ألقيته، وقال ابن الاثير: تكرر في الحديث: ذكر القراءة والاقتراء، والقارئ والقرآن، والأصل في هذه اللفظة الجمع وكل

---

(١) الدر المنثور (٤١٢/٥).

(٢) واللفظ للدرامي، انظر كتاب الصلاة، باب فضل من يصلي الصف الأول في الصلاة. باب رقم [٤٩] رقم الحديث [١٢٦٤]. [٢٠٦/١]

(٣) انظر التمهيد لابن عبد البر [٢٩٩/٨].

شيء جمعته فقد قرأته، وسمي القرآن؛ لأنه جمع القصص، والأمر والنهي والوعيد، والآيات، والسور بعضها إلى بعض.

قال ابن منظور: وفي الحديث إن الرب عز وجل: يقرئك السلام: يقال: أقرئ فلاناً السلام: وأقرأ عليه السلام، كأنه حين يبلغه سلامه على أن يقرأ السلام ويرده[١].

وأما كلمة (أقرأني) في اللغة: فهي التي عليها المعول: فإذا أطلق الراوي كلمة (أقرأني) فهي دليل على أنه قرآن، أو أنه رواية من روايات القرآن، وهكذا نزل وقرئي به بين يدي رسول الله ﷺ؛ لذا نجد أن ابن منظور في لسان العرب يشير إلى هذا فيقول:

وإذا قرأ الرجل القرآن، والحديث على الشيخ يقول: أقرأني فلان أي حملني على أن أقرأ عليه[٢].

فهذا رسول الله ﷺ يقول: أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل استزيده، ويزيدني حتى انتهيت إلى سبعة أحرف[٣]. وهذا عمر ابن الخطاب يقول لهشام بن حكيم بعد أن لبّبه بردائه: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت[٤]، وهذا ابن مسعود فيما روى عنه يقول: عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾، أقرأني رسول الله ﷺ (إني أنا الرزاق ذو القوة المتين) والأمثلة على ذلك كثيرة، إلا إنّ ما يجب الإشارة إليه هو أن لفظة (أقرأني) قد يعتريها الشك، وقد لا تكون صحيحة في بعض الأحيان، فهذا سلمان الفارسي (رضي الله عنه) يقول: عند قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا ﴾: دع القسيسين في الصوامع، والمحراب، أقرأنيها رسول الله ﷺ (بأن منهم صديقين ورهبانا).

قال عبد الرزاق المهدي محقق كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي عن الإسناد: إسناده ضعيف جداً لضعف نصير الطائي وجهالة رئاب والخبر منكر[٥].

---

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة [قرأ]، [١/١٢٨-١٣٠]بتصرف.

(٢) لسان العرب لابن منظور [١/٣٠]

(٣) انظر صحيح البخاري، باب [٥] أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم الحديثين [٤٩٩١،٤٩٩٢]، [٩/٢٣].

(٤) انظر المحرر الوجيز لابن عطية [٣١] [٥/١٨٣]

(٥) انظر تفسير القرطبي [٦/٢٤١].

وقال الدكتور حكمت بشير محقق كتاب جزء فيه قراءات النبي ﷺ عن الإسناد: في إسناده مجاهيل، والظاهر أن مدار الحديث متوقف عليهم، ونصير الطائي: هو نصير بن زياد الطائي، وترجم له ابن حجر باسم نضير، ونقل عن الأزدي، أنه منكر الحديث وحاوية ابن رئاب كوفي ذكره ابن أبي حاتم وسكت عنه[1].

وأخيرا: فإنه يتبين لك بعد العرض للأدلة أن ما يطلق عليه (القراءة التفسيرية) ليس من القرآن في شيء، وإنما هو بيان قصد به القارئ شرح ما غمض من النص، ثم أن الذين لم يرتضوا تسميتها قراءة شاذة سموها قراءة تفسيرية، وأرى تسميتها تفسيراً بدون قراءة أولى وأجدر، وإرجاع الحق لأصحابه وتبرئتهم من أنهم قرأوا في كتاب الله كذا وكذا، وبدلوا وغيروا من جهة أخرى لرد كل من له مطعن في القرآن، ورد كيده في نحره. والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر جزء فيه قراءات النبي ﷺ، للدكتور حكمت بشير ص [٩٠].

فوائد القراءات التفسيرية

لما كانت الحكمة من نزول القرآن على الأحرف السبعة هو: التيسير على الأمة الإسلامية كلها خصوصاً الأمة العربية التي شوفهت بالقرآن- فإنها كانت قبائل كثيرة وكان بينها اختلاف في اللهجات، ونبرات مختلفة في الأصوات وطريقة الأداء وشهرة بعض الألفاظ في بعض المدلولات على الرغم أنها كانت تجمعها العروبة ويوجد بينها اللسان العربي العام فلو أخذت كلها بقراءة القرآن على حرفٍ واحد لشق ذلك عليها- لم تخلوا تلك الأحرف من فوائد جمة وحكماً عليا ذكرها علماؤنا (رحمهم الله تعالى) من السلف والخلف.

أما ما نحن بصدده في هذا الفصل من فوائد القراءات التفسيرية: فمن المعلوم أن اهتمام علمائنا على مختلف عصورهم بالقراءة الشاذة لم يكن نابعاً من البحث عن زيادات خارج دفتي المصحف يمليها الترف العلمي، كما لم تكن أثارت من علمٍ عفا عليها الزمن فلم يعد فيها غنىً كبعض الآثار المطمورة في باطن الأرض. بل كان الاهتمام بها؛ لأنها جزء لا تنفك العربية عنه في استعمالاتها إلى يومنا هذا، وذلك أنها نسبت إلى القرآن منذ أيامه الأولى غير أنها تخلفت لاختلال الشرط الموجب لبقائها فيه، وبقيت فوائدها والاحتجاج بها في الفقه والتفسير واللغة والنحو، بل أصبحت من أجل الفوائد التي لا ينفك العلماء يستشهدون بها على اختلاف مشاربهم العلمية.

وأنا ذاكر هنا هذه الفوائد التي تفتقت عنها قرائح هؤلاء العلماء رحمهم الله.

- ما يكون لبيان حكم مجمع عليه كقراءة سعد بن أبي وقاص وغيره قوله تعالى ﴿ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ ﴾ قرأها "وله أخ أو أخت من أم" بزيادة (من أم) فإن هذه القراءة تبين أن المراد بالأخوة هنا هو: الأخوة للأم وهذا أمر مجمع عليه، ولذلك اختلف العلماء في المسألة المشّرَكة وهي زوج وأم أو جدة واثنان من أخوة الأم وواحد أو أكثر من أخوة لأب والأم فقال الأكثرون من الصحابة وغيرهم بالتشريك بين الأخوة؛ لأنهم من أم واحدة[1]، وهو مذهب الشافعي، ومالك، وإسحاق وغيرهم، وقال جماعة من الصحابة

(١) النشر لابن الجزري [٢٨/١].

وغيرهم: يجعل الثلث لأخوة الأم، ولا شيء لأخوة الأبوين لظاهر القراءة الصحيحة، وهو مذهب أبي حنيفة، وأصحابه الثلاثة، وأحمد بن حنبل وداود الظاهري وغيرهم.

قال الفخر الرازي: أجمع المفسرون ههنا على أن المراد من الأخ، والأخت والأخ والأخت من الأم[١]. وقال الجصاص: فهذه الكلالة هي الأخ والأخت لأم، لا يرثان مع والد ولا ولد ذكراً كان أو أنثى، فلا خلاف في ذلك أن المراد بالأخ والأخت ههنا إذا كانا لأم دونها إذا كانا لأب وأم أو لأب[٢].

- ترجيح حكم اختلف فيه كقراءة ﴿ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ ﴾ "أو تحرير رقبة مؤمنة بزيادة مؤمنة"، وذلك في كفارة اليمين فكان فيها ترجيح لاشتراط الإيمان فيها كما ذهب إليه الشافعي وغيره، لم يشترطه أبو حيفة (رحمه الله)[٣].

قال الشنقيطي: وهذه من مسائل المطلق والمقيد في حالة اتفاق الحكم، مع اختلاف السبب، وكثير من العلماء يقولون فيه يحمل المطلق على المقيد، وخالف في ذلك أبو حنيفة ومن وافقه[٤].

قال الشافعي: الرقبة المجزية في الكفارة كل رقبة سليمة من عيب يمنع من العمل صغيرة كانت أو كبيرة، ذكر أو أنثى، بعد أن تكون مؤمنة، ولا يجوز إعتاق الكافرة في شيء من الكفارات، ولا إعتاق المكاتب ولا شراء القريب[٥].

وقال أبو حنيفة: يجوز عتق الكافرة، لأن مطلق اللفظ يقتضيها[٦].

وقال مالك: " لا يجزي في شيء من الكفارات كافر، وقال (رحمه الله): لا يجزي أعمى ولا أبرص ولا مجنون[٧].

---

(١) تفسير الفخر الرازي [٥٢٣/٤]

(٢) أحكام القرآن [٢١/٢]

(٣) النشر [٢٩/١].

(٤) أضواء البيان [١١٣/٢].

(٥) انظر تفسير الفخر الرازي [٤٢١/٤].

(٦) انظر تفسير القرطبي [٢٦٢/٦].

(٧) انظر تفسير بن عطية [٢٣١/٢].

لذا قال القرطبي المالكي: لا يجوز عندنا إلا إعتاق رقبة مؤمنة كاملة ليس فيها شرك لغيره[1].

وقال ابن قدامة الحنبلي: عند ذكر المسألة، :"وإن شاء أعتق رقبة مؤمنة قد صلت، وصامت؛ لأن الإيمان قول وعمل، وتكون سليمة ليس فيها نقص يضر بالعمل فقال: ويعتبر في الرقبة ثلاثة أوصاف أحدها: أن تكون مؤمنة في ظاهر المذهب.

- ما يكون تجلية عقيدة ضلَّ فيها بعض الناس، وحجة لأهل الحق ودفعاً لأهل الزيغ نحو قوله تعالى في وصف الجنة وأهلها: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾، جاءت القراءة بضم الميم، وسكون اللام في لفظ ﴿ وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾وجاءت قراءة أخرى بفتح الميم وكسر اللام في هذا اللفظ نفسه، فرفعت هذه القراءة الثانية نقاب الخفاء عن وجه الحق في عقيدة رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة، لأنه سبحانه هو الملك وحده في تلك الدار ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[2].
- ما يكون لإيضاح حكم يقتضي الظاهر خلافه كقراءة (فامضوا إلى ذكر الله) (فاسعوا إلى ذكر الله) فإن قراءة (فاسعوا) يقتضي ظاهرة المشي السريع، وليس كذلك، فكانت القراءة الأخرى موضحة لذلك ورافعة ما يتوهم منه[3].

قال ابن كثير[4] (رحمه الله) وليس المراد بالسعي ههنا المشي السريع، وإنما الاهتمام بها.

وقال ابن جني: (فاسعوا) أي فاقصدوا، وتوجهوا، وليس فيه دليل على الإسراع، وإنما الغرض المضي إليها[1].

---

(١) تفسير القرطبي [٦/٢٢٦٢].
(٢) انظر النشر [١/٢٩] وتقريب النشر لابن الجزري [٩]. بتصرف.
(٣) النشر لابن الجزري [١/١٨٩].
(٤) تفسير ابن كثير [٦/١٨٩].

- ما يكون مفسراً لما لعله لا يعرف مثل قراءة ﴿ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ "كالصوف المنفوش"[٢]. ومن هذا النوع كذلك قراءة ابن مسعود (أو يكون لك بيت من زخرف) "أو يكون له بيت من ذهب" روي عن مجاهد أنه قال: لا أدري ما معنى (زخرفاً) حتى وجدته في قراءة عبد الله (وذهباً)[٣].
- ما يكون عوناً على معرفة صحة التأويل، كقراءة ابن مسعود (رضي الله عنه) ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾.

" والسارق والسارقة فاقطعوا أيمانهما" فهذه القراءة ساعدت على فهم ما يقطع في حد السرقة[٤].

قال أبو حيان: عند تفسير القراءة المتواتر: والظاهر من قوله: ﴿ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ أنه يقطع من السارق الثنتان، لكن الإجماع على خلاف هذا الظاهر، إنما يقطع من السارق يمناه، ومن السارقة يمناها[٥].

وقال الجصاص: لم تختلف الأمة في أن اليد المقطوعة بأول سرقة هي اليمين فعلمنا أن مراد الله تعالى بقوله: ﴿أَيْدِيَهُمَا ﴾أيمانهما[٦].

وقال ابن كثير: عن قراءة ابن مسعود: وهذه قراءة شاذة، وإن كان الحكم عند جميع العلماء موافقاً لها لا بها بل هو مستفاد من دليل آخر[٧].

- ما يكون تفسيراً للقراءة المتواترة، كقراءة ابن عباس (رضي الله عنه) لقوله تعالى ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾[٨]" للذين يقسمون من نسائهم"[٩]. قال

---

(١) المتحسب لابن جني، [٣٢٢/٢].
(٢) النشر [٢٩/١].
(٣) انظر معاني القرآن للنحاس [٣٥٥/٦]
(٤) انظر مباحث علوم القرآن، للدكتور صبحي الصالح. [ص٢٥٢].
(٥) البحر المحيط [٤٩٤/٣].
(٦) أحكام القرآن للجصاص [٦٢/٤].
(٧) تفسير ابن كثير [٢٩٨/٢].
(٨) سورة البقرة، آية [٢٢٦].
(٩) انظر البحر المحيط لأبي حيان [١٩١/٢].

القرطبي: يؤلون معناها: يحلفون، والمصدر إيلاءٌ وألِيَّةٌ وألْوَة، ومعلوم أن (يقسمون) تفسير (يؤلون)[١].

ومن هذا النوع كذلك قراءة ابن مسعود لقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾" من قبل أن تجامعوهن"[٢] قال أبو حيان: والمراد بالمسيس: الجماع[٣].

وقال الشوكاني: والمراد بقوله (ما لم تمسوهنَّ) (ما لم تجامعوهنَّ)[٤].

- ما يدل على وفرة مفردات اللغة العربية مع إعطاء معنى مختلف منها:

كقراءة عائشة رضي الله عنها لقوله تعالى: ﴿ وَجَاءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾[٥] (بدم كَدِب) بالدال[٦]. قال ابن منظور الكاف والدال الباء، يقال فيه كلمة. قالوا: إن الكَدِب الدم الطري. و(ك،ذ،ب) أصل صحيح يدل على خلاف الصدق[٧].

وقال أبو حيان: وقرأ الجمهور (كذب) وصف لـ (دم) على سبيل المبالغة أو حذف مضاف، أي ذي كذب لما كان دالاً على الكذب وصف به، وإن كان صادراً من غيره[٨].

وكذلك قراءة ثابت البناني لقوله تعالى: ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ بالعين بدل الغين. قال ابن منظور (شغف) الشين، والغين، والفاء كلمة واحدة وهي الشغاف، وهو غلاف القلب، قال تعالى: ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ أي أوصل الحب إلى شغاف قلبها[٩].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن [٩٩/٣].
(٢) كتاب المصاحف للسجستاني ص [٥٨].
(٣) البحر المحيط [٢٤٤/٢].
(٤) فتح القدير [٢٥٢/١].
(٥) سورة يوسف آية [١٨].
(٦) انظر البحر المحيط [٢٨٩/٥].
(٧) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ص [١٦٧/٥].
(٨) البحر المحيط [٢٨٩/٥].
(٩) معجم قياس اللغة [١٩٥/٣].

(وشعف) الشين والعين والفاء يدل على أعالي الشيء ورأسه فالشعفة رأس الجبل وشعفة القلب رأسه عند معلق النياط، ولذلك يقال شعفه الحب كأنه غشي قلبه من فوقه[١].

وقراءة على بن أبي طالب (رضي الله عنه) لقوله تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ ﴾[٢]" فكانت لمساكين" بتشديد السين[٣].

قال أبو حيان: "مساكين" بتخفيف السين جمع مسكين، وقرأ علي كرّم الله وجهه بتشديد السين جمع مساك، فقيل المعنى: ملاحين، والمساك الذي يمسك رجل السفينة وكل منهم يصلح لذلك، وقيل المساكون: دبغة المسوك وهي الجلود وأحدها مسك[٤].

- ومن فوائد القراءة الشاذة أيضاً أنها كانت متنفساً لكثير من علماء القراءات والمشتغلين به في الاستدلال بها على قول النبي ﷺ (أنزل القرآن على سبعة أحرف) كابن قتيبة وأبو شامة المقدسي وابن الجزري وغيرهم ممن نقل عنهم ونقلوا عنه.

فأخذ هؤلاء العلماء في تدبر هذا الحديث ويلتمسون تلك الأحرف السبعة التي أخبر المصطفى ﷺ أن القرآن نزل عليها، فكان للقراءة الشاذة النصيب الأكبر في الاستشهاد على تلك السبعة الأحرف.

وعلى سبيل المثال هذا ابن قتيبة يقول: وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه: أولها الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها نحو قوله تعالى:

---

(١) المصدر السابق [١٨٩/٣].
(٢) سورة الكهف آية [٧٩].
(٣) انظر البحر المحيط لأبي حيان [١٤٥/٦].
(٤) البحر المحيط [١٤٥/٦].

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ ﴾ (وأطهر لكم) فقراءة النصب في أطهَر شاذة.

والوجه الثالث: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب نحو قوله تعالى: ﴿ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ ﴾ (إذ تلقونه) بفتح التاء وكسر اللام وضم القاف مخففاً من وَلَق يَلِقُ إذا أسرع في الشيء (النور ١٥) وهي قراءة شاذة.

الوجه الثالث: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها، بما يغير معناها ولا يزيل صورتها، نحو قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾(سبأ/٢٣).

"حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم" وهو من تفريغ الإناء، والتقدير: فرَّغ الله عن قلوبهم الخوف.

الوجه الرابع: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها ولا يغير معناها "إن كان إلا زقية واحدة" ﴿ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ يس ٢٩ "كالصوف المنفوش" ﴿ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ﴾ (القارعة:٥). وهما قراءتان شاذتان.

الوجه الخامس: أن يكون الاختلاف في كلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله تعالى "وطلع منضود" في موضع (طلح منضود)، وهي قراءة شاذة.

الوجه السادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير: نحو قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ﴾، وهي شاذة كما ترى.

الوجه السابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ "إن الغني الحميد" وهي شاذة، وقرأ بعض السلف (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة) له تسع وتسعون نعجة أنثى[1].

الخاتمة

(نتائج البحث)

(١) انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة [ص ٧٠].

كان هناك خلط كبير بين القراءة الشاذة والتفسير، وقد توصلت في هذا البحث إلى فروقات مهمة في القراءات الشاذة ذاتها، ثم في الفرق بينها وبين التفسير:

- كتابة الصحابة رضوان الله عليهم التفسير مع القرآن، مما أدى بعد ذلك إلى إشاعة ما ليس بقرآن على أنه قرآن.
- ليس هناك تعارض بين خروج هذه القراءات وتسميتها بالشاذ وبين قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر] بل إن القراءات السبعة والعشرة ليست واجبة على الأمة، وإنما هي للتسهيل والتهوين عليها وإجابة لقصد نبيها عليه الصلاة والسلام.
- القراءة الشاذة لا تعني الضعف، ولا أي معنى يتبادر للأذهان عند إطلاقها؛ بل إنها نازعةٌ بالثقة إلى قرائها، محفوفة بالروايات من أمامه ووراءه.
- لا يغتر بكل رواية يُطلقُ عليها (قراءة شاذة)؛ لأن القراءة الشاذة لها حُرْمتها ومكانتها فقد كانت مما يُقرأُ به بين يدي رسول الله ﷺ ونزل به الروحُ الأمين، ففرق بين القراءة الشاذة وبين الخطأ والبدعة في القراءة.
- القراءة الشاذة إما أن تُوافِقَ الرسم وإما أن تُخالفه، فإن وافقت الرسم وصحت روايتها فهي شاذة، وإن لم تصح روايتها ولم يكن ثمَّ دليل على صحة الرواية فهي تُحمَلُ على التفسير. وإما أن تخالف الرسمَ فهي شرحٌ محضٌ للنص وهذا هو ضابط الشاذ والله أعلم.
- سبب إطلاق كلمة قراءة على التفسير هو قول الراوي: وقرأ فلان كذا.
- هناك فرق كبير بين القراءة الشاذة وما يسمى قراءة تفسيرية ويرجع إليها في موضعه من هذه الرسالة.

والله ولي التوفيق